وان تشوف سيدى فلعمر وليه لو كان المطلوب دنيا . لوجب وقوع الاجتزا . ولا غتبط بما تحصل فى
هذه الجزوز المبيعة فى حانوت الزور . من السهام الوافرة والاجزا . فالسلطان رعاه الله يوجب ما فوق
مزية التعليم . والولد هداهم الله قد اخذ وابحط قل ان ينال بغير هذا الاقليم . والخاصة والعامة
تعامل بحسب ما بلته من نصح سليم . وترك لما بالايدى وتسليم . وتدبير عاد على عدوها بالعذاب
الاليم . الا انى ابدى السلامة وهو من ابطان الحسد بحال السليم . ولا ينكر ذلك فى الحديث ولا فى القديم
لكن النفس منصرفة عن هذا الغرض . نافضة يدها من العرض . قد فوتت الحاصل . ووصلت فى الله القاطع
وقطعت الواصل . وصدقت لما نصح الفؤاد الناصل . وتاهبت للقاء الحمام الواصل . وقلت
انظر خضاب الشباب قد نصلا . وزاير الانس بعده انفصلا . ومطلبى والذى كلفت به
حاولت تحصيله فما حصلا . لا امل سعف ولا عمل . ونحن فى ذا والموت قد وصلا
والوقت الى الامداد منكم بالدعاء فى الاصايل والاسحار . الى مقيل العثار . شديد الافتقار .
والله عز وجل يصل لسيدى رعى جوانبه . ويتولى تيسير اماله من فضله العميم ومآربه . واقرا
عليه من التحيات . المحملة من فوق رحال الاريحيات . ازكاها . ما اوجع البرق الغمايم فى بكاها .
وحسد الروض جمال النجوم الزواهر فقابلها بمباسم الازهار وحكاها . واضطبن هرم الليل . عند
الميل . عصا الجوزا وتوكاها . ورحمة الله وبركاته انتهى . ومما خاطبه به لسان الدين رحمه الله ابن
مرزوق المذكور سيدى وعمادى . كشف قناع النصيحة من وظايف صديق . او خديم لصيق . وانا
بكلتا الجهتين حقيق . ويتلجلج فى صدرى كلام انا الى نفثه ذو احتياج . ولو فى سبيل هياج . وخرق سياج .
وخوض دياج . وقد اصبحت سعادتى من اصل سعادتك فرعا . فوجب النصح طبعا وشرعا . فليعلم سيدى
ان الجاه ووطنه . والاستغراق فى تيار الدول غلطه . وبعد ان العلو الا ان يبقى الله يكون السقطه .
والذوا الله يعصمه من الحوادث . ويقيه من خطوب الكوارث . وان تبعه الجم فهو منفرد . وبسهام
الحسد يقصد . وان الذى يقبل يده . يضمر حسده . وما من يوم الا والعلل تستشرى . والحيل تترى
وتبرى . وسموم المكايد تسرى . والعين الساهرة تطرق العين النايمة من حيث تدرى ولا تدرى .
وهذا الباب الكريم مخصوص بالزيادة والبركة . وخصوصا فى مثل هذه الحركة . فثم ظواهر . تخالف السراير
وحيل تصيب فى الجو الطاير . وما عسى ان يتحفظ المحسود . وقد عوت الكلاب وزارت الاسود .
وان ظن سيدى ان الخطة الدينية تذب عن نفسها . او تنفع مع غير جنسها . قياس غير صحيح . وهبوب الريح
وانما هى درجة فوق الوزارة والحجابة . ودهر يدعى فيبادر بالاجابة . وجاه يجر على القبيل الاذيال . ويفيد
العز والمال . ويجر هال . وصدور تحمل الجبال . وان قطع بالامان من جهة السلطان . لم يومن ان يقع فيه
والله يقيه . ويمتع به ويبقيه . ما البشر بصدده . والحى يجرى الى امده . فيستظهر الغير بقبيل ويحرك من
التغلب على سبيل . ويبقى سيدى طايرا بلا جناح . ومحاربا دون سلاح . ينادى من مكان بعيد بوده
فى طلل . ويقرع سن النادم والامر جلل . ومثله بين غير صنفه ممن لا ينصف بطرف . ولا يلتفت
الى الانسانية بطرف . ولا يعبد الله ولو على حرف . محول عليه من حيث الصنعة . معتمد بالعداوة
الخفية . وان ظن غير هذا فهو مخدوع مسحور . ومفتون مغرور . وبالفكر فى الخلاص تفاضلت النفوس
واستدفع البوس . وله وجوه كلها متعذر الحصول . دون تربص الفصول . والا ما كان من الغرض
الذى باق فيه بعد الحد الفتور . وعدل عنه وقد اخذ الدستور . وتيسر الامور . وتقررت الايمان والنذور
فانه عوض قريب . وسفر قاصد . وسعى لا ينفق فيه سيدى مع الدهر درهم واحد . ووطن لحركته راصد .
لا يمنع عليه اهله . ولا يستصعب سهله . وامير جبره الله يتطارح فى تعيينكم لاقتضا بره . واحكام
ارائه . وتامين خايفه . واستخدام اصنافه وطوايفه . ومتى تكون حركة العزو التنويه . والقدر النبيه
لا يعوزكم ممن وراءكم مطلب . ولا يبلغ من مخالفتكم مذهب . ولا يكدر لكم مشرب . وتمر ايام وشهور .
وتظهر بطون للدهر وظهور . وتفتح ابواب . وتسبب اسباب . من رجوع يتاتى بعد السكون والفتور .
وقد سكنت الخواطر . وتنوعت الامور . او مقام تمهد به البلاد . ويعمل فى ترتيب العملة الحسنة
الاجتهاد . وتستغرق فى هذا الغرض الاماد . ويتاتى ان حدث وتراكم حادث الاستقلال والاستبداد
تمهدا فيه الاعمار . ويكون لمن ينتقل برعى الشرق . والقرب الخيار . او التحكم فى ذخيرة سما منها المقدار
وذهل عند مشاهدتها الاعتبار . وخزانة الكتب بجملتها وفيها الامهات الكبار . قد تجافت عنها الحاجة
وعدم اليها الاضطرار . والربع الذى يسوغ بالشرع والعقار . فهذا كله حاصل . وثم ضامن لا يتهم وكافل
وعهود صينها غير ناصل . وبالجملة فالوطن لاغراض الملك جامع . وللمقاصد من المقام او الاستعمال
مطيع وسامع . وان توقع اثارة فتنة . او ارتكاب احنه . فالامر اقرب . والحالة المتيسرة اعرب . وحرم
الجنة فى تلمسان غير معتبره . واجوبتها مقرره . وقدوم رسول الطاغية واعانته تحصل فى الغالب
على هذه المطالب . وبالجملة فالدنيا قد تخلت . والاقدام قد زلت . والاموال قد قلت . والشبيبة فى
الدهر ولت . وذلك القطر على علاته احكم لمن يروم الجاه وامنع . واجدى بكل اعتبار وانفع . وقد حضرت
لاستخلاصكم اياه الالة التى لا تتاتى فى كل زمان . وتهيا امكان اى امكان . واقتضيت ايمان . وعرضت
سلع نقل لها اثمان . وارتهنت الوفا مروات واديان . وتحقق بذلك القطر الفساد الذى اشتهر بدمانوه
وامور واميره . والمنكر الذى يجب على كل مسلم تغييره . فان ثبت شرعا فاعلم ظاهر . او طبعا فالطبع حاضر

ومالم

ومالم عاذل بل عاذر . والمونة التى تلزم اقل من ان تكون ثمن بعض الحصون . فضلا عن الشجرة ذات
الغصون . وما يستهلك فى هذا الغرض شئ لخطر . ولا يستنفد من الصحيفة سطر . والبلد محكمة بكل او
شطر . وما يخص الملوك من هذا الامر الا استنفاد نشب . واستخلاص موئل بين موروث ومكتسب
وبعيد لا ينعراله فى زمن الازمان . فلابد فى كل وقت واعيان . ومروات واحساب واديان . والله كل يوم
هو فى شان . واما خد متردد له فهى على حرام . لا يبخل فيها ان اعتمدها مرام . وكانى بالمشرق لاحق .
وبانفاسه الزكية ناشق . فما هى الا ايماع . سرابها لماع . فاذا انقطعت الاطماع افسحت الدنيا واتسعت .
ومعاش فى عمار . او عكوف فى كبر دار . لمداومة استقالة واستغفار . والله ما توهم ان من بنيان البلاد
يستنفس بمنانة عليكم . او يحتقر ما لديكم . فقد ظهر الكامن . وتطابق المخبر والمعاين . فسبحان من يعوق
الضعيف . ويهين المخيف . ويجرى بيد المشروف الشريف . والحمد لله بيد الله تجددها وتخلقها . والارض
فى قبضته يرعاها ويهملها . هذيانات لا يسع انشاؤها . وسر ان لم يطو سقط بها على السرحان شاوه . وفيه
ما ينكره الامر . وتتعلق به الظنون . وتعمل الخواطر . فتدبروه . واعتبروه . وبعقلكم فاسبروه . ثم غطوه
بالاحراق واستروه . والله يرشدكم للتى هى اسد . ويحملكم على ما فيه لكم العز السرمد . والفخر الذى لا ينفد . والسلام
انتهى . وقال رحمه الله ومما صدر عنى ما اجبت به عن كتاب بعث به الى الفقيه الكاتب
من سلطان تلمسان ابو عبد الله محمد بن يوسف القيسى الثغرى حيى تلمسان الحيا . فربوعها
صدف يجود بدره المكنون . ما شيت من فضل عميم ان سقى . اروى ومن ليس بالممنون
او شيت من دين اذا قدح الهدى . اورى ودنيا لم تكن بالدون . ورد النسيم لها بنشر حديقة
قد ازهرت افنانها بفنون . واذا حبيبة ام يحيى انجبت . فلها الشفوف على عيون العين
ما هذا النشر والصف والحشر . واللف والنشر . والفجر والليالى العشر . شذى كما فتقت دارين .
وسطور رقم حللها التزيين . وبيان قام على ابداعه البرهان المبين . ونفس وشى بطرس . فجاء كانه العين
العين . لا بل ما هذه الكتايب الكتيبة التى اطلعت علينا الاعنة . واشرعت علينا الاسنة . وراعت الانس
والجنة . فاقسم بالرحمن لولا انها رفعت شعار الامان . وحيت تحية الايمان . لراعت السرب . وما قنت
الذود ان يرد الشرب . اظنها مددا لجهاد قدم . وشارد الرجا استعمل فى سبيل الله واستخدم . والمتاخر
على ما فاته ندم . والزهر وجد بعد ما عدم . نستغفر الله انما هى رقاع رقاع . وصلات صلاة ليس فيها
سبق ولا ارقاع . وبقاع لها بطل الطباع الكريمة انتفاع . والحان بيان يعضدها ايقاع . ودر منسوق
ورطب نخلها بسوق . ولله در القايل الملك سوق . ومن نضير الشيخ على كتيبة نعقبها كتيبه . وافضا
وجيبه . من ذى غلة غير نجيبة . بيناه يكابد من مراجعة الحى من حضر موت الموت . ولا يكاد يرجع
الصوت اذ صبحته قيس وهى التى شذت من القياس . واحجمت من مبارزتها اسود الاجناس . فلولا
امتثال امره . وصبر على جمره . لا عاد ما حكى فى مبارزة الوصى عن عمرو . فتحرج من الخطل . وبقى عذر المكره
من مناجزة البطل . الم يدر قايده علمها . وزاير قبلها . انى امت بذمة من عميد لا يخفر . وان ذنب
امنافقه له لا يغفر . وحقه الحق الذى لا يجحد ولا يكفر . ٥ لما رات راية القيسى زاحفة
الى ريعت وقالت لى وما العمل . تلت الوغى ليس من رايى ولا عملى . لا ناقة لى فى هذا ولا جمل
قد كان ذاك وربات الصهيل ضحى . تهز عطفى كانى شارب ثمل . والآن قد صوح المرعى وقوضت
الخيمات والركب بعد البين محتمل . قالت الست شهاب الدين تفرقها . حاشى العلى ان ينال استوثق الحمل
لحمل وانا احسن من هذا وذا وزد . بمثله فى الدواهى تبلغ الامل . هى الحمى لا تحمى استجره نفسه
الامن منشد له الفضل مكتمل . والله لو اهمل الراعى النقاد به . ما خاف من اسد خفانه همل
يكون من قوم موسى ان قضوا عدلوا . وان تقاعد دهر جاير حملوا . هم الجبال الرواسى كلما حكموا
هم البحار الطوامى كلما جملوا . نقلت كان لك الرحمى بعدى ما . سواه معتمد والراى معتمل
لها انا تحت ظل منه يلحقنى . والشمل منتظم بتره العز يشتمل . فقل لقيس لقد خاب القياس فلا
تذكروا المصاع وتحت الليل ما حملوا . دامت له ديم النعمى مساجلة . يمناه تنهل اليمنى فتنهمل
ودامت شمس علياه الافول الى . طى الوجود خلا شمس ولا حمل . ولو جرى والعود بالله نجم هذا
المتاب . ولم يتصف السبب وحاشاه بالانفصال ولا بالانتساب . نزعى العدل بمكتول . وسببه ارفع
موصول . وان استجرت نصول والمرم تاتى الابطال التنزل الى نزاله . والناسك التايب بدين ضرب
الغارات باعتزاله . الا من اعرق فى مذهبا الخارجى الازرق . نافع بن الازرق . وحسبى وقد ساءكمبى
ان اترك الخطر لراكبه . واخلى الطريق لمن يبغى المناوبه . واسير تسيير امثالى من الضعفا . ونكف فهو زمان
الاكتفا . ونسلم بخطوبة هذا الفن الى الاكفا . ونقول بالبنين والرفا . فقد ذهب الزمن المذهب .
وشيبى المذهب . وشاخ البازى الاشهب . وعتاد العمر ينتهب . ومرهب الموت من فوق العود يرهب
اللهم الهم هذه الانفس رشدها . واذكرها السكرات وما بعدها . ايه اخى والفضل وصفك ونعتك
والزيف بهرجه بحتك . وسهام البراعة انفذ بها برايك ونحتك . وصلتنى رسالتك البره . بل
غمامتك الثره . وحيتنى نفوس فضلك المفتره . نفحت برودها المسره . جدد العهد بمحبوب لقا
وانهلت ظماء الاستطاع فى سقالك . واقتضت تجديد الدعا بسقاك . الا انها ربما ذهلت عند
وداعك . وابهر عقلها نور ابداعك . فلم تلق الوصية . وسلكت المسالك القصية . وابعدت من

يك

King Saud University
Copyright King Saud University